مفهوم الاصلاح السياسي في برامج الاحزاب السياسية في العراق

حزب الوطنى الديمقراطى انموذجا

١٩٤٦ ـ١٩٥٤

ا.م. د. سؤدد كاظم مهدي

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية –الجامعة المستنصرية

الملخص

كان الاصلاح ومايزال مقولة يتحدث عنها الجميع ، لاسيما وانها تهدف الى منطق النهضة والمواكبة والتحديث والتغيير الهادئ التدريجى ، كما تمثل فى الوقت نفسه حالة التقاء بين مختلف الخطابات الثقافية والسياسية على اختلاف مرجعياتها ومكوناتها ، وبالتالى فان الاصلاح يمثل الاكثر حضورا وتداولا فى مطالب الشعوب عامة. والعراق كان ميدانا لذلك نتيجة اخفاقات القيادات السياسية فى مختلف المجالات فى منتصف القرن العشرين .

يدور موضوع الاصلاح عند النخبة السياسية في العراق ، حول جانبا مهما من جوانب الفكر السياسي ، وتحديدا حول جانب الاصلاح السياسي، الذي شاع كمصطلحا ومفهوما في القرن العشرين كتجربة نهضوية شاملة تهدف تقدم الدول المتخلفة التي استقلت عن الاستعمار الاوربي ، والعراق كان انموذجا للتأثر بذلك التيار السياسى، عندما زاوج ما بين الافكار الليبرالية والديمقراطية والمبادئ الاشتراكية في انموذج خاص خرج في منهاج حزبى سياسي بشكل يتلائم مع الواقع العراقي ، وكان هو منهاج الحزب الوطني الديمقراطي الذي تأسس عام ١٩٤٦ .

كان الحزب الوطني الديمقراطي حزبا عقائديا ، وقادته دعاة للإصلاح ،ولذلك ارتبط الاصلاح كمفهوم وبرنامج ضمن اهدافه ، ليؤشر منهاجه بدلالاته ومعانيه وخططه على محتويات ومضامين مشاريعهم للتغيير والنهوض بالمجتمع والنظام السياسي معا ، فشكل الحزب بأبعاده المختلفة من اهم اجنحة القوى الوطنية . بل وكان احد روادها في مرحلة من اهم مراحل تاريخ العراق المعاصر المليئة

بالأحداث والصراعات السياسية في العهد الملكي او الجمهوري (١٩٤٦-١٩٦٣) عندما الف الحزب واحدة من اهم قوى المعارضة في مرحلة الحكم الملكي ، عندما كان يؤشر للحزب بمنهجه ومبادئه الى جذور الفكر الديمقراطي في العراق ونضاله من اجل تحقيق اهدافه بالطرق السلمية .

تتبع موضوع البحث ضمن المدة الزمنية المحددة له اهم المحطات التاريخية التى اثرت فى ظهور الحزب الوطنى الديمقراطى بدءا من معرفة الاصلاح كمعنى ومفهوم ومرورا بالاسباب التى ادت الى ظهور الاصلاح وانتهاءا بظهور الحركة الاصلاحية بشكل واضح فى ثنايا منهاج الحزب فى تلك المرحلة السياسية ، التى شهدت العديد من المؤثرات والتيارات الفكرية فى المحيط الدولى ، ونعنى به بالتحديد الصراع الفكرى والسياسى بين المعسكرين الاشتراكى والراسمالى فضلا عن التيارات الاقليمية كالقومية والناصرية وغيرها .

المقدمة

كان الاصلاح ومايزال مقولة يتحدث عنها الجميع ، لاسيما وانها تهدف الى منطق النهضة والمواكبة والتحديث والتغيير الهادئ التدريجى ، كما تمثل فى الوقت نفسه حالة التقاء بين مختلف الخطابات الثقافية والسياسية على اختلاف مرجعياتها ومكوناتها ، وبالتالى فان الاصلاح يمثل الاكثر حضورا وتداولا فى مطالب الشعوب عامة . والعراق كان ميدانا لذلك نتيجة اخفاقات القيادات السياسية فى مختلف المجالات فى منتصف القرن العشرين

يدور موضوع الدراسة حول جانب مهما من جوانب الفكر السياسي ، وتحديدا حول جانب الاصلاح السياسي ، الذي شاع كمصطلحا ومفهوما في القرن العشرين كتجربة نهضوية شاملة تهدف تقدم الدول المتخلفة التي استقلت عن الاستعمار الاوربي ، والعراق كان انموذجا للتأثر بذلك التيار السياسى ، عندما زاوج ما بين الافكار الليبرالية والديمقراطية والمبادئ الاشتراكية في انموذج خاص خرج في منهاج حزبى سياسي بشكل يتلائم مع الواقع العراقي ، وكان هو منهاج الحزب الوطني الديمقراطي الذي تأسس عام ١٩٤٦ .

كان الحزب الوطني الديمقراطي حزبا عقائديا ، وقادته دعاة للإصلاح ،ولذلك ارتبط الاصلاح كمفهوم وبرنامج ضمن اهدافه ، ليؤشر منهاجه بدلالاته ومعانيه وخططه على محتويات ومضامين مشاريعهم للتغيير والنهوض بالمجتمع والنظام السياسي معا ، فشكل الحزب بأبعاده المختلفة من اهم اجنحة القوى الوطنية . بل وكان احد روادها في مرحلة من اهم مراحل تاريخ العراق المعاصر المليئة

بالأحداث والصراعات السياسية في العهد الملكي او الجمهوري (١٩٤٦-١٩٦٣) عندما الف الحزب واحدة من اهم قوى المعارضة في مرحلة الحكم الملكي ، عندما كان يؤشر للحزب بمنهجه ومبادئه الى جذور الفكر الديمقراطي في العراق ونضاله من اجل تحقيق اهدافه بالطر ق السلمية .

تتبع موضوع البحث ضمن المدة الزمنية المحددة له اهم المحطات التاريخية التى اثرت فى ظهور الحزب الوطنى الديمقراطى بدءا من معرفة الاصلاح كمعنى ومفهوم ومرورا بالاسباب التى ادت الى ظهور الاصلاح وانتهاءا بظهور الحركة الاصلاحية بشكل واضح فى ثنايا منهاج الحزب فى تلك المرحلة السياسية ، التى شهدت العديد من المؤثرات والتيارات الفكرية فى المحيط الدولى ، ونعنى به بالتحديد الصراع الفكرى والسياسى بين المعسكرين الاشتراكى والراسمالى فضلا عن التيارات الاقليمية كالقومية والناصرية وغيرها .

اولا :الاصلاح ... المعنى والمدلول .

تعود كلمة الاصلاح في اللغة العربية الى فعل (اصلح ، يصلح، صلاحا) اي ازالة الفساد بين القوم . وعند ابن منظور في كتابه لسان العرب ، ومعجم الصحاح للجوهري تعني الاصلاح لغة نقيض الافساد ، يقال رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في اعماله واموره [١] بمعنى اخر هو نقيض الفساد ، والانتقال او التغيير من حال الى حال (حسن) او التحول عن شيء والانصراف عنه الى سواه [٢]

وقد ورد لفظ الاصلاح في القران الكريم في اكثر من سورة مثل قوله تعالى : ((**والله يعلم المصلح من المفسد**))وهو ما يقابل الفساد : "**ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها** " [٣] . وفي آيات اخرى ما يقابل السيئة ،((**خلطوا عملا صالحا واخر سيئا**))[٤]ثم توفيق الله لعباده لعمل الصالحات ((**يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم**))[٥] . كماتأتي في محو التباغض بين المتخاصمين " **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم.. وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم** "[٦] .

وبذلك تتعدد زوايا مفهوم الاصلاح ، وبالتالي فان العلاقة بين هذه التعريفات هي علاقة تكامل لا تناقض ، والتعريف الذي ترجحه لمفهوم الاصلاح بانه ((**تغير تدريجي جزئي سلمي**))[٧] ومن ادلة الاصلاح كتغير تدريجي سلمي ، قول النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم . ((**من رأى منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان**))[٩] .

اما في اللغة الاجنبية فيعرف قاموس اكسفورد الاصلاح بانه تغير او تبديل نحو الافضل في حالة الاشياء ذات النقائض ، وخاصه في المؤسسات والممارسات السياسية الفاسدة او الجائرة ، وازالة بعض التعسف او الخطأ . اما قاموس ويستر للمصطلحات السياسية فيعرف الاصلاح بانه : تحسين النظام السياسي من اجل ازالة الفساد والاستبداد[٩]، كما يعتبر القاموس ان الاصلاح السياسي ركنا اساسيا للحكم الصالح ومن مظاهره سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في اتخاذ القرار والعدل وفعالية الانجاز وكفاءة الادارة والمحاسبة والمسائلة والرؤية الاستراتيجية ، وهو تجديد للحياة السياسية وانماطها ، وتصحيح لمساراتها المتعددة ، ولمفاهيمها الدستورية ، وصيغها القانونية[١٠].

ان كلمة الاصلاح ليست جديدة على الفكر السياسي العربي فقد ورد ذكرها في القران الكريم عدة مرات كما اشرنا سابقا . وبالتالي فان مفهوم الاصلاح ليس جديدا في العقل العربي – الاسلامي ، بل هو مفهوم قديم لم يبدأ بظهور الافكار والتيارات الاصلاحية في القرن العشرين ، فالدعوة الى الاصلاح بدأت قديما مع بداية قيام الدولة الاسلامية[١١] . فثورة الحسين بن علي (ع) في عام ٦١ هـ كان شعارها الرسمي هو الاصلاح بقوله : ((**ما خرجت اشرا ولا بطرا ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي**))

ثم تطور المصطلح ليصبح مطلبا طرحه المفكرون والعلماء المسلمون تحديدا في الربع الاخير في القرن التاسع عشر ، اي في فترة ما يمكن ان نسميه عصر التنوير العربي فى ظل التبعية العثمانية في سعيهم نحو تحقيق نهضة او تقدم عربي نشد " **الاصلاح ونهوض الامة وانتشالها** " من سباتها الطويل الذى امتد اكثر من خمسة قرون . وكان من ابرزهم جمال الدين الافغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي ، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، وخير الدين التونسي ، وغيرهم[١٢] حيث رأى هؤلاء المفكرون ان الدولة العثمانية لم تعد دولة الاسلام التي تمثل طموحات العرب والمسلمين ، وبالتالي لا بد من اصلاحها او التخلي عنها لافتقارها الشرعية وتمثل افكار هذه الحركة الاصلاحية الدينية نواة الفكر القومي العربي الذي بنى عليه الجيل الثاني من القوميين العرب ، الذين كانوا يمثلون رواد النهضة الفكرية العربية ، مثل ساطع الحصري ، وقسطنطين زريق ، وقد اثمرت جهود هذه الحركة القومية العربية في انفصال العرب عن الدولة العثمانية بعد نهاية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨)[١٣].

ثانيا : العوامل المؤثرة في عملية الاصلاح .

من اجل فهم المرتكزات الرئيسية التى ساعدت الحزب الوطنى الديقراطى على الظهور ، لابد لنا من معرفة ان عملية الاصلاح the process of Reform لا تحدث في فراغ ولا تنطلق لمجرد الرغبة في التغيير ، اذ لابد من توفر بيئة مناسبة او ظروف موضوعية تدفع باتجاه الاصلاح ـ وذلك

لتجنب الاثار السلبية المترتبة على بقاء الوضع على ما هو عليه ، واستعراض هذه الظروف والعوامل التي تنم فيها عملية الاصلاح وحجم الاشارة الى الحقائق التالية .

١- ان الاصلاح عادة ما ينم في ظروف الازمة the context of crisis فنقطة الانطلاق هي اللازمة التي تمثل خطرا للنظام السياسي القائم ، بمعنى اخر لابد من التصدي لهذه الازمة باتخاذ قرارات حاسمة واجراء اصلاحات جذرية .وقد تكون اللازمة خارجية تهدد امن واستقرار الدولة [١٤] .

٢- ان دعاة الاصلاح عادة ما يستندوا في دعواتهم الاصلاحية الى عقيدة فكرية او ايديولوجية ideology تساعدهم في تبرير الافكار الاصلاحية والدفاع عنها ، فالدعوة الاصلاحية التي نادى بها الجيل الاول من القوميين العرب كالكواكبي ،واليازجي ، ورشيد رضا ، ورفاعة الطهطاوي ، وغيرهم كانت نابعة من تأثرهم بالأفكار الغربية ولاسيما فكرة القومية (nationalsm) [١٥].

٣- ان الاصلاح الذي يأتي بمبادرة من القائد ومن هم حوله ((**النخبة الحاكمة**)) Reform from above لابد من ان يدفع نحو توسيع قاعدة المشاركة السياسية وخلق عناصر وفئات تستفيد من عملية الاصلاح حتى يكتب له النجاح والاستمرارية ، اي خلق جهة للإصلاح، فكلما اتسعت قاعدة المشاركة في عملية الاصلاح كلما زادت شرعية الاصلاحات ، فالإصلاح الذي يتم من اجل حرية الناس وحقوقهم ، لاشك سوف يدفعهم الى التمسك به وحمايته ، وبالتالي لابد من ان يؤدي الاصلاح الى حراك اجتماعي وخلق ارادة مجتمعية [١٦] .

ثالثا :عوامل ظهور برنامج الحزب الوطني الديمقراطي .

بعد سلسلة من التحولات الفكرية التي شهدها العراق في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ، انتجت البيئة السياسية في مطلع القرن العشرين جذورا للفكر الديمقراطي [١٧] ، انعكست على الاحزاب السياسية التي ولدت بعد خضوع العراق للانتداب البريطاني في عام ١٩٢٢ [١٨] ، مهدت هذه الخلفية التاريخية الطريق لظهور الحزب الوطني الديمقراطي بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) ، الذي مثل في سياق برنامجه نقلة مهمة في تاريخ العراق المعاصر على صعيد اهدافه السياسية الاصلاحية ومن حيث القاعدة الشعبية العريضة التي حضي بها وعلى مدى عقود طويلة(١٩٤٦-١٩٦٣) .

كان لقادة الحزب كامل الجادرجي ،ومحمد حديد ، وحسين جميل دورا بارزا في تطوير دعائم الحياة الحزبية الديمقراطية وترسيخها وفق منهج اصلاحي في العراق ، وان كان على المستوى النظري

، لا سيما ان هؤلاء القادة ينتمون الى جيل رائد كان وزنه وتأثيره كبيرا بحكم قوة افكاره التي جاءت متناغمة مع متطلبات المرحلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية [١٩] .

كما قدمت شخصية كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي بعدا اضافيا في عملية تبلور افكار الحزب ونهضة الاصلاح ، عندما برز اسم كامل الجادرجي على الساحة السياسية في ثلاثينيات القرن العشرين باعتباره سياسيا معارضا ، ورجل موقف [٢٠] ، وافكاره **"لا شرقية ولا غربية "**، يؤمن بها قاعدة مهمة وفاعلة في المجتمع وهم الشباب الذين يرون ان يكون الوطن للجميع ،اي لا يستمتع به افراد محددون ، ولا ينعم بخيراته طبقة معينة من الناس ، كذلك وصف كامل الجادرجي من قبل الصحافة العربية وخصوصا في لبنان بانه **" قلما نجد امثالا له في تفكيره الإنساني النبيل** " لكونه " **التفكير الوطني الصحيح** " [٢١] .

هدف كامل الجادرجي بشكل عام في منطلقاته الفكرية ومواقعه السياسية. اصلاح العراق بالطرق السلمية والديمقراطية على غرار الدول الحديثة المتطورة ، سواء كانت الإقليمية ام الاوربية ، وذلك من خلال العمل المشترك لأنهاء الاوضاع المتدهورة في البلاد من خلال تغيير جوهري على العوامل المساعدة لتلك الازمة . وذلك باتباع طرق سلمية لا تؤمن بالانقلابات العسكرية والمقصودة به انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، ولا بطريق العنف ، وكان هذا المبدأ من اسس مبادئ الحزب الوطني الديمقراطي ، باعتباره الاسلوب للتطور الاجتماعي في كل الحالات ، ما عدا الثورة الشعبية عند تعذر تحقيق الاصلاح الاجتماعي [٢٢] .

شجعت الظروف التي نجمت عن انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ بانتصار جبهة الحلفاء التي كانت تعرف عادة بالجبهة الديمقراطية على جبهة المحور ذات النزعة الفاشية ، والمد الجديد الذي دب في المنطقة العربية نحو حركات التحرر ، القوى الوطنية في العراق للتشديد على المطالبة ببعث الحياة الحزبية في سيا ق مرحلة جديدة من النضال من اجل الحياة الديمقراطية [٢٣] ومنذ تلك المرحلة بدأ نشاط ملموس في صفوف الديمقراطيين من جماعة الاهالي ،الذين فسح المجال امام عملهم السياسي والحزبي وحرية الصحافة فى المقابل عدّ جماعة الاهالي ذلك افضل حل ممكن لأداء دورهم المطلوب .

تعد جماعة الاهالي التي ظهرت في العقد الثالث من القرن العشرين ، النواة الاولى التي ينتمي لها قادة الحزب الوطني ، والاب الروحي الشرعي للحزب فكرا وتنظيما ، فقد استهدف جماعة الاهالي ذات الميول الاشتراكية ، باعتبارها تنظيما فكريا ، سياسيا من طراز جديدي تحقيق:

((مجتمع يضمن الاطمئنان والرفاه والتقدم للسواد الاعظم

من الشعب ليس على اساس الاطاحة بالمجتمع القائم ،

بل على اساس تقويمه واصلاحه)) (٢٤) .

اضطرت ادارة الوصي عبد الاله التي فرضت الاحكام العرفية بعد انتفاضة مايس ١٩٤١ (٢٥)، الى فسح هذه المساومة السياسية الجزئية لترحب مجددا بعودة الفكر الديمقراطي . فكانت الخطوة الاولى في هذه المرحلة الجديدة هي اصدار جريدة صوت الاهالي في ٢٣ ايلول ١٩٤٢ ، وكان الجادرجي هو المدير المسؤول وصاحب الامتياز معا ، حددت الجريدة توجهات الحزب المزمع تشكيله ، وبطبيعة الحال كان يمثل امتدادا متطورا لتوجهات جماعة الاهالي (٢٥)

حاولت الجريدة وهي تكتب مقالات افتتاحية ان تهيء الاذهان لمنهاج الحزب الاصلاحي ، عندما ربطت كل قضايا المجتمع والاقتصاد بل وحتى القومية بوضعية الديمقراطية نفسها وبإصرار واضح ، عندما اكدت جريدة الاهالي الصادرة في ٢٣ ايلول ١٩٤٢

((اما اهدافنا القومية الكبرى التي كنا ولا نزال نسعى اليها ،

ونناضل في سبيلها فهي الحرية الكاملة اولا ، وتوثيق الروابط

بين جميع الاقطار العربية ثانيا ، ومحاربة البؤس والتأخر

والجهل ، وتحرير المرأة ثالثا)) (٢٦) .

في ٥ اذار ١٩٤٦ تقدم كلا من كامل الجادرجي ، ومحمد حديد ، وحسين جميل ، وعبد الوهاب مرجان ، وعبد الكريم الازري ، وعود الشاكي ، ويوسف الحاج الياس ،وصادق كمونة ، بطلب الى وزارة الداخلية لتأسيس حزب سياسي باسم ((**الحزب الوطني الديمقراطي**)) وارفق مع الطلب نظام الحزب الاساسي ونظامه الداخلي ، وفي ٢ نيسان ١٩٤٦ اذن وزير الداخلية سعد صالح تأسيس حزب سياسي ، استنادا الى المادة السابقة من قانون تأليف الجمعيات (٢٧) .

رابعا : الفكر السياسى لحزب الوطني الديمقراطي .

كان الحزب الوطني الديمقراطي من الاحزاب السياسية التي تهدف تأسيس حياة ديمقراطية ، مع تطبيق المبادئ الاشتراكية من اجل الدعوة الى اصلاح جذري في البلاد ، وهو ما كان يصبو اليه

مجموعة من المثقفين العراقيين الذين تخرجوا من لبنان ، وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فضلا عن العراق [٢٨] .

تطرفت جهات سياسية متعددة رسمية وغير رسمية ، بل واوساط دينية وقومية متزمتة ، في اضفاء صفة الماركسية الشيوعية على الفكر السياسي للحزب عموما وعلى شخص كامل الجادرجي خاصة [٢٩] فقد عدّ المؤرخ عبد الرزاق الحسني في كتابة تاريخ الاحزاب السياسية بان الحزب يمثل ((**الجناح المعتدل في الحركة اليسارية في العراق وهي الحركة التي تتكون من هذا الحزب الشعب والاتحاد الوطني وكذلك الحزب الشيوعي السري**)) [٣٠] .

كما جاء في احد التقارير الامنية الخاصة عن الجادرجي بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٥٤ ، وحسب ما ورد في التقرير ، " **ان له صلة وثيقة وسيطرة تامة على الحزب الشيوعي العراقي ، ويطيع الحزب المذكور اوامره وان فهد رئيس الحزب الشيوعي كان يزوره في داره ليجعله سندا للحزب الشيوعي العراقي السري ، وان الحزب الوطني الديمقراطي الذي يتزعمه الجادرجي قد ابدى تعاونا وثيقا مع الشيوعية ونشر شعاراته واغراضه بين مختلف صفوف الشعب من كسبة وعمال وفلاحين وطلاب ومحامين وموظفين نساءا ورجالا ..**" [٣١] .

في المقابل نفى كامل الجادرجي عن نفسه وحزبه صفة الشيوعية وبإصرار في اكثر من مناسبة فقد اكد بانه ليس شيوعيا وليس ممن يعطفون على الشيوعيين ، وانما هو اشتراكي تقدمي يؤمن بالإصلاح التدريجي اكثر من التغير الثوري واضاف ايضا **"لو كنت شيوعيا لانضممت الى الحزب الشيوعي** "[٣٢] .

مما يتبين ان كامل الجادرجي ومبادئ الحزب عموما لا تميل الى الشيوعية ، بل كان متعاطفا مع الشيوعيين فكانت له صلة بالحزب الشيوعي العراقي السري ، لان الحزب الوطني الديمقراطي كان في تلك الفترة مفتوحا على جميع التيارات الوطنية التقدمية ، ومجالا للعملالواجهي ، وبالنسبة لمعظم الاحزاب في ظل عهد الاضطهاد في العهد الملكي ، كما كان الجادرجي يتعاطف مع الشيوعيين ، ويرى فيهم قوة معارضة اساسية لابد من التعاون معها من اجل تحشيد الجماهير ضد النظام الملكي [٣٣]

خامسا :الاصلاح في منهاج الحزب الوطني الديمقراطي .

حدد الحزب الوطني الديمقراطي الغاية من تشكيله في صدر منهاجه المنشود في بغداد عام ١٩٤٦ [٣٤] وهو القيام بإصلاح عام في كافة نواحي البلاد السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وفق

منهج علمي شامل لجميع تلك المجالات ، وذلك لأجل تطوير البلاد ونقلها من حالة التأخر الى دولة ديمقراطية حديثة ، من خلال اتباع الاساليب الديمقراطية ومن ثم يستعرض المنهاج تلك الجوانب وبالشكل الاتى :

١ ـ الناحية السياسية :

وهي بدورها تنقسم الى مجالين السياسة الخارجية اولا ثم الداخلية ويتحدث عنها المنهاج كلا على حدة :

ا- السياسة الخارجية :

حدد الحزب اهداف السياسة الخارجية بضرورة اكمال استقلال العراق ، وتحقيق التكافؤ في العلاقات مع بريطانيا بشكل ينسجم مع ميثاق الامم المتحدة وتغيير المعاهدة العراقية – البريطانية لعام ١٩٣٠ وفق الاسس المذكورة [٣٦] هذا مع العمل من اجل تحقيق اتحاد البلاد العربية في ادارة موحدة ، او نظام مشترك مع احتفاظ كل دولة منها بإدارة شؤونها المحلية فضلا عن تأييد الحركات الاستقلالية الوطنية في البلاد العربية ، ومقاومة تاسيس دولة يهودية في فلسطين ، وفي الوقت ذاته اكد الحزب على ضرورة تعزيز العلاقات اليهودية مع الدول الاجنبية عادة والدول المجاورة خاصة [٣٧] .

ب- السياسة الداخلية :

اما على صعيد السياسة الداخلية فقد اولى المنهاج اهتماما بارزا بالنظام السياسي للبلاد . وعلى ضرورة تحقيق نظام ديمقراطي يقوم على التعددية الحزبية ومجلس نيابي برلماني تكون فيه الوزارة مسؤولة امام البرلمان ، مع تطبيق نظام الانتخاب المباشر عبر تقسيم العراق الى دوائر انتخابية فردية ، وضرورة منح الحريات العامة كالحرية الفردية وحرية الراي والتعبير والصحافة والاجتماع والاعتقاد هذا مع التاكيد على :

((اصلاح الجيش اصلاحا يجعل منه جيشا عصريا

مدربا وضمان استقلال القضاء وتوحيده وجعله

قادرا على القيام بواجبات العدالة)) [٣٨] .

ج-الوحدة الوطنية :

يعبر الحزب عن رؤيته الوطنية تجاه تعدد الهويات وتنوع الاقليات في العراق بضرورة تعزيز الاواصر الوطنية بين المكونات الدينية والقومية والثقافية المختلفة في البلاد على اعتبار ان العراق هو :

((ميدان للتعاون الحر على اساس المصلحة المشتركة بين

العرب والأكراد وغيرهم من العناصر التي يتكون منها

العراقيون ، يحترم كل منها الاخر في جو تسود فيه

الحرية والمساواة والعدل))[٣٩].

وبناءا على ذلك فان العراقيين من وجهة نظر الحزب متساويين في الحقوق والواجبات وعلى الجميع المساهمة في خدمة كيان هذا الوطن [٤٠] .

- ٢ الناحية الاقتصادية :

لم يطرح منهاج الحزب الوطني الديمقراطي حلولا جذرية بخصوص الاوضاع الاقتصادية المتدهورة ، فقد رأى ان السبب الرئيسي في تدهور الاقتصاد مقارنة بالدول العصرية هي قلة الانتاج وسوء توزيع ثمراته وان السبيل لمكافحة الفقر والجهل والمرض وبشكل سريع تمر عبر برنامج تنظيمي يقوم على اساس اصلاح البلاد وفق خطة منظمة خلال مدة معينة [٤١] ويستهدف هذا البرنامج زيادة الانتاج، وحسن توزيع المواد الزراعية وتقليص الفروقات الاقتصادية بين المواطنين ويتم ذلك عبر ما يلي :

أ- زيادة الانتاج ويتم عبر تطبيق منهج توسيع الانتاج الزراعي وتحسين نوعه بتأسيس مشاريع اروائية ، وادخال الالة ، والحقول التجريبية نموذجا لذلك ونظام الجمعيات التعاونية الانتاجية ، وتحسين تربية المواشي .

ب- يحدد الحزب ان مشكلة الاراضي في العراق تكمن في وجود اراضي خالية كثيرة من جهة وجود ملكية كبيرة واسعة في الاراضي المستثمرة من جهة اخرى ، وهما ما يعرقلان تحقيق الاصلاح الزراعي المنشود ، ويحول دون رفع مستوى معيشة الفلاح . ولذلك يطرح الحزب في منهجه ان توزيع الاراضي الاميرية الصرفة على اساس الملكية الصغيرة مع تحديد الملكية الكبيرة هي المعيار لحل هذه المشكلة [٤٢] .

ج - تأسيس مشاريع صناعية وخدمية تقوم الدولة بها كمشاريع الخدمات العامة كالكهرباء والماء ومشاريع النقل ، مشاريع استثمار المعادن كالنفط يكلف الحزب الدولة القيام بمشاريع مراقبة الرأسمال الوطني وتأسيس مصارف تجارية وزراعية وصناعية للقيام بالأعمال الضرورية للاقتصاد الوطني وانعاش للحركة الوطنية عموما .

كما على الدولة ان تعتني بشؤون التجارة بواسطة لجان او جمعيات خاصة لكل قسم من اقسامها على غرار جمعية النمور ولجنة الجنوب على ان تكون مهمة هذه اللجان والجمعيات هو تحسين وتصنيف وخزن ونقل وتصريف المنتجات العراقية المختلفة .

ولم يهمل منهاج الحزب المشاريع العمرانية لتحسين طرق المواصلات البرية والنهرية والحيوية وبشكل يؤمن الاتصال بين كافة انحاء العراق ، [٤٣] .

- الناحية الصحية .

يولي المنهاج اهتماما واضحا للجانب الصحي في عملية الإصلاح الشاملة المطلوبة في الواقع العراقي لكون ما للجانب المذكور من علاقة كبيرة بين سوء الاوضاع الاقتصادية والامراض بصفة عامة ولذلك يستهدف الحزب وضع جملة من الاسس المهمة بشأن المعالجة ومن ابرزها : انشاء مراكز صحية خاصة للعناية بالأمومة والطفولة وتأسيس مستشفيات حكومية ثابتة وسيارة في جميع انحاء العراق وبشكل مجاني .

- ٤- الشؤون الاجتماعية :

ويقوم جانب الاصلاح في هذا الصدد عبر تطبيق مبدأ الضمان الاجتماعي بشكل يتناسب مع وضع العراق الاقتصادي والاجتماعي ليضمن لكل فرد حدا ادنى من المعيشة وتنظيم المدن وفق تصاميم عامة لضمان السكن الصحي وانشاء قرى عصرية للفلاحين في الريف مع اصلاح السجون لتكون اداة اصلاح وتهذيب [٤٥] .

- ٥- الناحية الثقافية :

ويأخذ جانب التعليم بأنواعه المجال الاكبر في عملية الاصلاح الثقافي عند الحزب ، عندما يضع برنامج يهدف تعميم التعليم الابتدائي الاجباري المجاني ، ومكافحة الامية خلال مدة معينة مع توسيع التعليم الثانوي والمهني والزراعي المجاني مع تأسيس الجامعة العراقية غير تهيئة فرص متساوية في التعليم على اساس الكفاية ونشر الثقافة العامة بتأسيس المكتبات وانماء حركة التأليف والترجمة [٤٦] .

- **سادسا : موقف الحزب الوطني الديمقراطي من الاحداث السياسية في العراق (١٩٤٦-١٩٥٤)**

كان الحزب الوطني الديمقراطي يمثل مؤسسة وطنية تخدم البلاد في الساحة السياسية على حد قول معارضيه [٤٧] عندما كان يمثل قوة معارضة لمعظم الوزارات العراقية ما بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٥٤ وهي السنوات الممتدة ما بين اجازته كحزبا والغاء اجازته من قبل وزارة الداخلية ، حيث كان له نشاط ملموس في وثبة كانون الثاني ١٩٤٩ [٤٨] وفي قبر معاهدة بورتسموث [٤٩] التي عقدتها وزارة صالح جبر في ١٥ كانون الثاني من العام نفسه ولذلك تعرض كامل الجادرجي رئيس الحزب الى الاضطهاد والسجن اكثر من مرة وبسبب ضروب الاضطهاد المتشددة في عهد وزارة مزاحم الباجه جي (٢٦ حزيران ١٩٤٦ – ٦ كانون الثاني ١٩٤٧) قرر كامل الجادرجي مع حزب الاحرار [٥٠] تجميد نشاط الحزبين اعتبارا من اول كانون الاول ١٩٤٨ خشية ان يتعرض قادة الحزب الى الخطر [٥١] .

استانف الحزب نشاطه فى ٢٩تشرين الثانى ١٩٥٠وتعاون مع بعض السياسين المستقلين ونواب المعارضة واصدربيان الحياد الذى اعلن فيه :

"ان الانحياز الى اية كتله من الكتلتين المتنازعتين ، سواء اكان فى الحرب الباردة القائمة بينهما او الاصطدام المسلح الذى يحتمل ان يقوم ، مما يعرض البلاد العربية عامة والعراق خاصة الى اخطار جسيمة تجلب الينا الكوارث ،... " [٥٢]

استمر الحزب فى تحالفه مع موقعى بيان الحياد ليشكل " **الجبهة الشعبية المتحدة** " ، وكان اهم مطالبها كما اعلنت فى بيلن مشترك فى الاول من تموز ١٩٥١

١-ان لايصبح العراق قاعدة عسكرية ضد الول المجاورة .

٢-الابتعاد عن التكتلات الدولية .

٣-الشعب مصدر السيادة .

٤--توفير الغذاء والكساء باسعار معتدلة [٥٣]

وكان للجرائد الناطقة بسم الحزب ((جريدة **الاهالي**))ومن ثم جريدة ((**صوت الاهالي**)) ((**وصدى الاهالي**)) دورا كبيرا في توجيه النقد الشديد لكل عمل تقوم به الحكومة ولم يقدم الشيء الصحيح للمجتمع [٥٤] .

في ٢ ايلول ١٩٥٤ قررت وزارة نوري السعيد الثانية عشر سحب اجازة الحزب ، وكذلك وفقا للمادة العاشرة من قانون تأليف الجمعيات لعام ١٩٣٢ بتهمة ((**بث روح الكراهية والتمرد والفوضى بين**

ابناء الشعب وبالنظر لخروج الحزب عن منهاجه الذي اجيز بموجبه وتعاونه مع الهيئات غير القانونية التي لم تحترم قوانين البلاد وتنظيمها ...)) [٥٥]

الخاتمة

يتبين لنا مما سبق ما يلى

- نتيجة الاخفاقات العربية فى مختلف المجالات فى القرن العشرين ، كان الاصلاح ومايزال مقولة يتحدث عنها الجميع لاسيما وانها تهدف الى منطق النهضة والمواكبة والتحديث والتغيير الهادئ التدريجى ، كما تمثل فى الوقت نفسه حالة التقاء بين مختلف الخطابات الثقافية والسياسية على اختلاف مرجعياتها ومكوناتها ومنظوراتها ، وبالتالى فان الاصلاح يمثل الاكثر حضورا وتداولا فى مطالب الشعوب .

- ـ طرح العرب مسالة الاصلاح فى العالم العربى بصورة صريحة وجدية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قبل ظهور مصطلح الاصلاح كمفهوم بجوانيه المتعددة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وذلك من خلال ادبيات المصلحين العرب وقادة تيار التحديث الذى طرح من قبل علماء الدين والجوامع .

- توفرت البيئة الناسبة والظروف الموضوعية لظهور حزب سياسى على الساحة العراقية يهدف اصلاح الاوضاع المتدهورة فى العراق وعلى اسس ديمقراطية اشتراكية سلمية ، وذلك لتجنب الاثار السلبية المترتبة على بقاء الوضع على ما هو علية من جهه ، ولمع الاحداث الدموية المرافقة له من جهة اخرى .

ـ ظهر الحزب الوطنى الديمقراطى فى ظل ظروف ازمة حادة فى العراق ، كان ابرزها انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتداعيات حركة مايس عام ١٩٤١ على مجمل الاوضاع فى البلاد ، لتستانف تلك

الاحداث مرحلة جديدة امام مشروع سياسى يهدف تطويع الوضع السياسى نحو البناء والتنمية وكسر طوق الاحتكار والتبعية لبريطانيا

الهوامش والمصادر :

١- احمد الرحال ، الاصلاح فكرة ومشروعا. http : // alalabneas. Com

٢- محمد محمود السيد ، مفهوم الاصلاح السياسي ، الحوار المتمدن ،. http: www.abewat . otg

٣- القران االكريم ، سورة الاعراف ، اية ٥٦.

٤- القران الكريم ، سورة التوبة ، اية ١٠٢ .

٥- القران الكريم ، سورة الاحزاب ، اية ٧١ .

٦- القران الكريم ، سورة البقرة ، اية ٢٢٤ .

٧- د. صبري محمد خليل خيري ، مفهوم الاصلاح في الفكر السياسي والاجتماعي والسلمي ـ فبراير ٢٠١٢ . http : // dksabri Khalil . wakprees

٨- نقلا عن : المصدر نفسه .

٩- نقلا عن : محمد محمود السيد ، المصدر السابق ، ص ٢.

١٠- المصدر نفسه.

١١- للمزيد من التفاصيل ينظر :رشيد الجميلي ، تاريخ وحضارة الدولة الاسلامية ، بيروت ، ١٩٧٢ .

١٢- للمزيد من التفاصيل ينظر : على الوردى ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ،ج٣، بغداد ، ١٩٧٠، ص٣ .؛ محمد جبار ابراهيم الجمال ، بنية العراق الحديثة ، تاثيرها الفكرى السياسى١٨٦٩ ـ١٩١٤ ، بغداد، ٢٠١٠

١٣- للمزيد من التفاصيل عن رواد القومية العربية ينظر : محمد عزة دروزة ، نشاة الحركة العربية الحديثة ، ط٢ ، صيدا ، ١٩٧١

١٤- محمد محمود السيد ، المصدر السابق ، ص٣ .

١٥- المصدر نفسه .

١٦- المصدر نفسه ، ص ٣ .

١٧- *عامر حسن فياض* ، *جذور الفكر الديمقراطي* الليبرالي في العراق الحديث ١٩١٤- ١٩٣٩ ، بغداد ، ٢٠٠٦

١٨- للمزيد من التفاصيل عن تلك الاحزاب ينظر : احلام حسين جميل ، الافكار السياسية للأحزاب العراقية في عهد الانتداب ١٩٢٢-١٩٣٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ .

١٩- عبد الرزاق احمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية فى العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، بغداد ، مكتبة عدنان ، ، ٢٠١٣ .

نقلا عن : د. عادل تقي عبد محمد البلداوي ، الحزب الوطني الديمقراطى فى العراق ١٤تموز١٩٥٨-٨شباط ، مراجعة وتقديم د كمال مظهر احمد ، مطبعة البناء ، ٢٠٠٠

٢٠- استقال مع ثلاثة من زملائه وهم كل من جعفر ابو التمن وزير المالية ، ويوسف ابراهيم وزير المعارف ، وصالح جبر وزير العدلية في عام ١٩٣٧ .

٢١- نقلا عن: د. عادل تقي عبد البلداوي ، المصدر لسابق / ص ١٨ .

٢٢- مذكرات كامل الجادرجي ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٤٥-٤٦ .

٢٣- د. عادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

٢٤- نقلا عن : د. عادل تقي عبد محمد البلداوي ، المصدر نفسه ،ص٢٣. للمزيد من التفاصيل عن ثورة مايس وتداعياتها ينظر : د شفيق عبد الرزاق السامرائى ، انتفاضة رشيد عالى الكيلانى والحرب العراقية –البريطانية ١٩٤١، بغداد ، ١٩٨٦: د فاروق صالح العمر ، ثورة مايس ١٩١ودول الجوار فى الوثائق البريطانية ، بغداد ، ٢٠٠٢

٢٥- د. فاضل حسين ، تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ، ١٩٤٦ - ١٩٥٨ ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ١٤ -١٥ .

٢٦- نقلا عن : عادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

٢٧- للمزيد من التفاصيل ينظر : جعفر عباس حميدي ، التطورات السياسية في العراق ، ص ٢٦٣ .

٢٨- للمزيد من التفاصيل عن الفكر السياسي للمثقفين العراقيين الدارسين في الجامعة الأمريكية في بيروت ، ينظر : منار عبد الحميد ، الفكر السياسي للمخرجين العراقيين في الجامعة الامريكية في بيروت ، بغداد ، ٢٠١٥ . عبد الرزاق احمد النصيري ، المصدر السابق ، ص .

٢٩- عادل تقي عبد محمد البلداوي ، الحزب الوطني التقدمي في العراق في العهد الجمهوري الاول ، بغداد ، بلا تاريخ ، ص ١٩ .

٣٠- نقلا عن : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية ، ص ١٧٦ .

٣١- نقلا عن : عادل تقي البلداوي ، الحزب الوطني التقدمي ، ص ٢٠ .

٣٢- نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ٢١ .

٣٣- المصدر نفسه ، ص ٢١-٢٢ .

٣٤- تحت اسم منهج الحزب الوطني الديمقراطي ونظامه الداخلي ـ مطبعة الاهالي ، بغداد ، ١٩٤٦ .

٣٥- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٨ .

٣٦- وهي المعاهدة البريطانية- العراقية التي وقعها كل من نوري السعيد رئيس الوزراء والسير فرنسيس همفريز المندوب السامي البريطاني في العراق نيابة عن بلديهما في ٣٠ حزيران ، ١٩٣٠ .ينظر عبد الرزاق الحسنى ، العراق فى ظل المعاهدات ، ط٤، بيروت ، ١٩٨٠، ص ص ٢٠٤-٢٢٤

٣٧- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ص ٢٦-٢٧ .

٣٨- المصدر نفسه ، ص ٢٧ ، عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية ، ص ٢١١ .

٣٩- نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

٤٠- المصدر نفسه .

٤١- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية ، ص ٦ ، عادل تقي عبد البلداوي ، المصدر السابق ، ص ٢٥

.

٤٢- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ص ٢٨ .

٤٣- المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٤٤- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية ، ص ٤١ .

٤٥- المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

٤٦- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ص ٢٩ .

٤٧- نقلا عن نص البيان الرسمي الصادر عن حسن الطالباني ، مدير التوجيه والاذاعة العام ينظر : عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٩ ، ط٥ ، ١٩٧٨ ، ص ١٥٦ .

٤٨- وثبة ١٩٤٨ او انتفاضة كانون ١٩٤٨ ، وهي انتفاضة شعبية بهدف اسقاط حكومة رئيس الوزراء صالح جبر ومعاهدة بورتسموث . بدأت الانتفاضة بمظاهرات سلمية ثم تحولت الى مواجهات بين الشرطة والمتظاهرين في كلية الطب وكلية الهندسة ، والجسر وباب المعظم ، سقط على اثرها المئات من المتظاهرين من الطلبة والمواطنين ، للمزيد من التفاصيل ينظر : جعفر عباس حميدى ، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٦٨، بغداد ،٢٠١٥

٤٩- معاهدة بورتسموث : وهي المعاهدة العراقية – البريطانية التي تم التوقيع عليها في ميناء بورتسموث في ٥ يناير ١٩٤٨ ، وكانت تنقيح لمعاهدة ١٩٣٠ ، عندما وجدت بريطانيا نفسها بانها بعد الحرب العالمية الثانية تحتاج الى امتيازات اكثر في العراق والشرق الاوسط ، وتم توقيع المعاهدة في عهد وزارة صالح جبر. للمزيد من التفاصيل ينظر : مامون امين زكى ، ازدهار العراق تحت الحكم الملكى ١٩٢١-١٩٥٨،لندن، دار الحكمة ،٢٠١٣

٥٠- حزب الاحرار وهو من الاحزاب ذات الميول اليمينية الطبقية ،وافقت وزارة الداخلية على اجازة تأسيسه في ٢ نيسان ١٩٤٦ ، عندما قدم كلا من الحاج داخل شعلان ، وعبد القادر باش اعيان ، السيد حين نقيب النجف ، محمد فخري جميل ، كامل الخضيري ، وغيرهم بطلب تأسيس حزب سياسي باسم حزب الاحرار . للمزيد من التفاصيل ينظر . عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الاحزاب السياسية ، ص ١٦٠ .

٥١- المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

٥٢- نقلا عن : د جعفر عباس حميدى ، المصدر السابق ،ص٢٠٢

٥٣- المصدر نفسه ، ص٢٠٢.

٥٤- نقلا عن : عبد الرزاق الحسنى، تاريخ الاحزاب السياسية ، ص ١٨٣.

٥٥- المصدر نفسه .